

وصف الرسول ﷺ

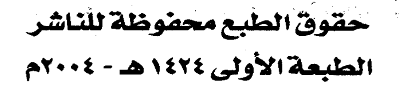
جمع وترتيب

محمود المصرى

أبو عمار

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	١٩٠١٥/ ٢٠٠٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: ٠١٢٢٨١١٥٣٦

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. أما بعد..

فإنه مما لا شك فيه أن الأنبياء والرسل (صلوات ربى وسلامه عليهم) يمثلون الكمال الإنسانى فى أرقى صوره فهم أطهر البشر قلوبًا وأزكاهم أخلاقًا... اختارهم الله واصطفاهم لنفسه.. والله يصطفى من رسله من يشاء. فلم يكن بدعًا من الرسل أن يكون كل ما عليه نبينا ﷺ من الخَلق والخُلق مسترعيًا للأنظار فى قمة الكمال والجمال ﷺ.

وقد كان لهذا أثره الكبير فى استجابة الناس له... فكم من رجل دخل فى الإسلام بمجرد رؤية النبى ﷺ.

* فهذا عبد الله بن سلام رضي الله عنه - وكان حَبرًا من أحبار اليهود - يقول: لما قدم النبى ﷺ المدينة انجفل الناس عليه وكنت فيمن انجفل فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب(١).

فكان ذلك سببًا لإسلامه رضي الله عنه.

(١) رواه أحمد والحاكم (٣/ ١٣) وصححه ووافقه الذهبى.

- فرسولنا ﷺ كان أجمل الناس وأحسن الناس... لم يصفه واصفٌ قَط إلا شبَّهه بالقمر ليلة البدر، بل لقد كان يقول قائلهم: لربما نظرنا إلى القمر ليلة البدر فنقول: هو أحسن فى أعيننا من القمر.

- ولقد جاء وصف النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة فحفظ الله (جل وعلا) لهذه الأمة وللأجيال المتأخرة صفة نبيها ﷺ حتى جاء وصف النبى ﷺ فى هذه الأحاديث بشكلٍ دقيق كأن الإنسان ينظر إليه ﷺ.

- فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع وصف النبى ﷺ الذى نقله إلينا أصحابه ﷺ عسى الله أن يجمعنا به ﷺ فى جنته.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الصفات الخِلقية للحبيب ﷺ

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدعج العينين (الدعج شدة سواد العينين مع سعتهما)، وقيل: أكحل، أهدب الأشفار (طويل الأشفار) مفلج الأسنان كَث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، رجل الشعر (فى شعره حجونة أى تثنٍّ قليل) يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس فى وجهه تدوير، ذا مشربة (وهى الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب) إذا مشى تقلع كأنما ينحط فى صبب (أى يمشى بقوة، والصبب الحدور)، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعالى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين (أى قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة، وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطوى له الأرض ويجدّون فى لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرجله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة فى كل عين ثلاثة أطراف عند النوم»[1].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ٢٥، ٢٦).

* فهذا وصفٌ مُجمل للنبى ﷺ يحتاج إلى تفصيل.. وسنتعايش بقلوبنا من خلال تلك الرسالة مع تفاصيل وصف النبى ﷺ كأننا نراه بأعيننا - بأبى هو وأمى ﷺ -.

جمع الله للنبى ﷺ جمال الخَلق والخُلق

لقد جمع الله (جل وعلا) للنبى ﷺ جمال الخَلق وجمال الخُلق.

فلقد كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره - صفات أدَّبه الله بها، وكل حليم قد عُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

قالت عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله (أخرجه البخارى). وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضًا.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره كان يعطى عطاء من لا يخاف فقرًا، قال ابن عباس: كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان،

فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. (متفق عليه)

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أُحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال على: كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبى طلحة عرى، فى عنقه السيف، وهو يقول: «لم تُراعوا، لم تراعوا» (متفق عليه).

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، وقال أبو سعيد الخدرى: كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، وإذا كره شيئًا عُرف فى وجهه، وكان لا يثبت نظره فى وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحدًا بما يكره حياء وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلاً بلغه عنه شىء يكرهه، بل يقول: «ما بال أقوام يصنعون كذا» (متفق عليه). وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضى حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم

أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويُتحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس فى أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم فى بيته، وكان بشرًا من البشر يَفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. (السلسلة الصحيحة: ٦٧١).

* و«كان طويل الصمت قليل الضحك» (صحيح الجامع: ٤٨٢٢)... وإذا ضحك ﷺ: «كان لا يضحك إلا تبسمًا» (صحيح الجامع: ٤٨٦١)... و«كان كلامه كلامًا فصلاً يفهمه كل من سمعه» (صحيح الجامع: ٤٨٢٦)... و«كان أشد حياءً من العذراء فى خدرها» (أخرجه البخارى).

كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخابًا فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح. (أخرجه البخارى).

وكان لا يدع أحدًا يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل ولا ملبس، ويخدم مَن خدمه، ولم يقل

لخادمه أُفٍّ قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه (متفق عليه).

وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبى ﷺ مُحلًّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائدًا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا فى دين الله أفواجًا (الرحيق المختوم: ٥٣٢ : ٥٣٥) بتصرف.

* وجماع كل ذلك أنه ﷺ كان كما قالت أمنا عائشة: «كان خُلقه القرآن» (أخرجه مسلم).

* وحسبُه أن الله (عز وجل) جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

وصف أم معبد الخزاعية للنبى ﷺ

* عن هشام بن حبيش، عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأبو بكر رضي الله عنه ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط.. مروا على خيمتى

أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة[١] جلدة [٢]، تحتبى[٣] بفناء الخيمة، ثم تسقى وتطعم من مرّ بها.

فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين[٤]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم. قال: (هل بها من لبن؟) قالت: هى أجهد من ذلك، قال: (أتأذنين لى أن أحلبها؟) قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت[٥] عليه ودرّت، فاجترت فدعا بإناء يربض[٦] الرهط، فحلب فيه ثجًا[٧] حتى علاه البهاء[٨]، ثم سقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب

---

(١) برزة: المرأة الطاعنة فى السن التى تبرز للرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) جلدة: قوية.

(٣) تحتبى: الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعهما على الركبتين.

(٤) مرملين مسنتين: أى أنهم دخلوا سنة الجدب والقحط.

(٥) تفاجت: فرجت رجليها للحلب.

(٦) يربض الرهط: يبالغ فى ريهم ويقلهم حتى يلصقهم بالأرض.

(٧) الثج: السائل.

(٨) البهاء: رغوة الحليب.

آخرهم حتى أراضوا[١]، ثم حلب فيه الثانية على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها - يعنى على الإسلام - ثم ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن هزالاً مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: «من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عازب حائل ولا حلوب[٢] فى البيت؟» قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: «صفيه لى يا أم معبد؟».

قالت: «رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[٣] أبلج الوجه[٤]، حسن الخلق لم تعبه ثُجلة[٥]، ولم تزر به صُعلة[٦]، وسيم[٧] قسيم، فى عينيه دعج[٨]، وفى أشفاره وطف[٩] وفى صوته صهل[١٠]،

(١) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى.
(٢) عازب: بعيدة عن المرعى، وحائل: لم تحمل.
(٣) ظاهر الوضاءة: حسن الوجه.
(٤) أبلج الوجه: مشرق الوجه.
(٥) ثجلة: عظم البطن.
(٦) الصعلة: صغر الرأس.
(٧) الوسيم: الجميل الخلقة.
(٨) الدعج: شدة سواد العين.
(٩) الوطف: طول أشفار العيون.
(١٠) صهل: ليس بحاد الصوت.

وفى عنقه سطع[١]، وفى لحيته كثاثة[٢]، أزج أقرن[٣]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء[٤]، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب. حلو المنطق، فصلاً لا نزر ولا هذر[٥]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنأه من طول[٦]، ولا تقحمه عين من قصر[٧] غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون[٨] به، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود[٩] محشود[١٠]، لا عابس ولا معتد».

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذى ذُكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصاحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً[١١].

(١) سطع: إشراق وطول.

(٢) كثاثة: دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.

(٣) أزج أقرن: دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.

(٤) البهاء: حسن المظهر.

(٥) فصلاً لا نزر ولا هذر: كلامه بيِّن وواضح ليس كثيرًا، وليس قليلاً.

(٦) لا تشنأه من طول: ليس طويلاً طولاً مفرطًا.

(٧) لا تقحمه عين من قصر: لا يحتقر لقصره الشديد.

(٨) يحفون به: يحيطون به. (٩) محفود: مخدوم.

(١٠) محشود: محفوف به ومحاط به.

(١١) أخرجه الحاكم (٣/٩، ١٠)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبى.

* أرأيتم كيف استطاعت تلكم المرأة أن تصف النبى ﷺ هذا الوصف العجيب الدقيق مع أنه ما رأته إلا مرة واحدة.

كان وجهه ﷺ أجمل من القمر

عن البراء قال: ما رأيت من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله ﷺ، شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير (أخرجه مسلم).

* وعن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير» (متفق عليه).

* وعن أبى إسحاق قال: سُئل البراء: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر» (أخرجه البخارى).

* وعن سماك أنه سمع جابر بن سَمُرَةَ قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف؟ قال جابر: لا، بل مثل الشمس والقمر، مستديرًا (أخرجه مسلم).

* وعن جابر بن سمرة، قال: رأيت النبى ﷺ فى ليلة إضْحيَان (يعنى مقمرة) وعليه حلَّة حمراء، فجعلتُ أنظر إليه وإلى القمر فلهو كان فى عينى أحسنَ من القمر (رواه الترمذى).

* وعن أبى يونس، مولى أبى هريرة، أنه سمع أبا هريرة، قال: ما رأيت شيئًا أحسنَ من النبى ﷺ كأن الشمس تجرى

فى وجهه، وما رأيتُ أحدًا أسرع فى مشيه منه، كأنَّ الأرض تُطوى له، إنَّا لنجتهد، وإنَّه غير مكترث (رواه الترمذى).

* وكان وجهه ﷺ مستديرًا... ففى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال: «كان وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا».

* وكان الحزن أو السرور يظهران على وجه النبى ﷺ.

فعن أنس أنه قال: «كان إذا كره شيئًا رؤى ذلك على وجهه» (صحيح الجامع: ٤٧٧٨).

* وعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه» (متفق عليه).

لون النبى ﷺ

عن على رضي الله عنه أنه وصف لون النبى ﷺ فقال: «كان أبيض مُشرَّبًا بياضه بحُمرة، وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار» (صحيح الجامع: ٤٦٢١).

* وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال فى وصف لون النبى ﷺ: «كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ».

* وفى رواية البخارى قال أنس: «كان ربعة(١) من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون أمهق(٢) ليس بأبيض ولا آدم(٣) . . . ».

* وروى مسلم عن أبى الطفيل قال: قلت له: أرأيت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. كان أبيض، مليحَ الوجه.

قال مسلم بن الحجاج: مات أبو الطفيل سنة مائة وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ.

* وفى رواية لمسلم عن أبى الطفيل، قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجلٌ رآه غيرى. قال: فقلت له: فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحًا مُقصَّدًا(٤).

صفة فم النبى ﷺ وعينيه وعقبيه

* عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليعَ الفم(٥). أشكل

---

(١) (الربعة): المتوسط الطول.

(٢) (الأمهق): أى الشديد البياض.

(٣) (الآدم): أى ولا شديد السمرة، وإنما يخالط بياضه الحمرة.

(٤) المقصَّد من الرجال ليس بجسيم ولا طويل.

(٥) ضليع الفم: عظيم الفم، كذا قاله الأكثرون وهو الأظهر، قالوا: والعرب تمدح بذلك، وتذم بصغر الفم، وهو معنى قول ثعلب فى «ضليع الفم»: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان.

العين[١]. منهوس العقبين[٢]. قال: قلت لسماك: ما ضليعُ الفم؟ قال: عظيم الفم. قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شقِّ العين. قال: قلت: ما منهُوسُ العقب؟ قال: قليل لحم العقب (اخرجه مسلم).

صفة شعر رسول الله ﷺ

* عن قتادة. قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعرًا رجلاً[٣]. ليس بالجعد ولا السبط. بين أذنيه وعاتقه. (اخرجه مسلم).

* وعن أنس، أن رسول الله ﷺ كان يضرب شعره منكبيه. (اخرجه مسلم).

* وعن أنس قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه. (اخرجه مسلم).

---

(١) جاء تتمة الحديث قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم، قال: قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين. قال: قلت: ما منهوس العقب؟ قال: «قليل لحم العقب».

قال القاضي: «هذا وهم من سماك باتفاق العلماء، وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء، ونقله أبو عبيد وجميع أصحاب الغريب: أن الشكلة حمرة فى بياض العينين وهو محمود».

(٢) معناه قليل لحم العقب. كما قال:

(٣) (رجل الشعر): لا شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة، بل بينهما.

* وعن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله ﷺ مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، يبلغ شعره شحمة أُذنيه، عليه حُلَّة حمراء، ما رأيت شيئًا أحسن منه (أخرجه البخارى).

* وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبىَ ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط[1] ولا سبط رجل أُنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقُبض وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعرًا من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل: احمرَّ من الطِّيب» (أخرجه البخارى).

* عن ابن عباس. قال: كان أهلُ الكتاب يسدلُون أشعارهم، وكان المشركون يَفْرُقُون رءوسهم. وكان رسول الله ﷺ يُحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يُؤمر به. فسدل رسول الله ﷺ ناصيته. ثم فرق بعد (متفق عليه).

قال القاضى: سدل الشعر إرساله، قال: والمراد به هنا عند العلماء إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصة.

* والمراد هنا أن النبى ﷺ كان فى أول البعثة يرى

(١) وأما القطط: فالشديد الجُعودة، والرَّجل: الذى فى شعره حُجُونةٌ أى تَثَنٍّ قليلاً.

المشركين يفرقون رؤوسهم فكان النبى ﷺ يسدل شعره ليخالف المشركين. . ولأن أهل الكتاب كانوا يسدلون. . وكان النبى ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فى بعض الأشياء التى لم يأته فيها أمرٌ من الله بمخالفتهم. فلما قضى النبى ﷺ على الشرك ودخل الناس فى دين الله أفواجًا أراد النبى ﷺ أن يخالف أهل الكتاب ففرق رأسه.

شيب النبى ﷺ .. وما جاء فى خضابه

* عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: توفى رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة: فرأيت شعرًا من شعر رسول الله ﷺ فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: من الطيب (أخرجه البخارى).

* وعن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك: هل كان رسول الله ﷺ خَضَبَ؟ فقال: لم يبلغ الخضاب. كان فى لحيته شعراتٌ بيضٌ. قال: قلت له: أكان أبو بكر يخضب؟ قال: فقال: نعم. بالحناء والكتم. (أخرجه مسلم).

* وعن محمد بن سيرين قال: سألت أنس بن مالك: أخضب رسول الله ﷺ؟ قال: إنه لم ير من الشَّيب إلا قليلاً (أخرجه مسلم).

* لكن جاء فى رواية ابن عمر: أن النبى ﷺ كان يلبس النعال السبتية، ويصفِّر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك (متفق عليه).

* قال القاضى: اختلف العلماء هل خضب النبى ﷺ أم لا؟ فمنعه الأكثرون بحديث أنس وهو مذهب مالك. وقال بعض المحدثين: خضب لحديث أم سلمة، ولحديث ابن عمر (أنه رأى النبى ﷺ يصبغ بالصفرة) قال: وجمع بعضهم بين الأحاديث بما أشار إليه فى حديث أم سلمة من كلام أنس فى قوله: فقال: ما أدرى فى هذا الذى يحدثون إلا أن يكون شىء من الطيب الذى كان يطيب به شعره؛ لأنه ﷺ كان يستعمل الطيب كثيرًا، وهو يزيل سواد الشعر فأشار أنس إلى أن تغيير ذلك ليس بصبغ، وإنما هو لضعف لون سواده بسبب الطيب. قال: ويحتمل أن تلك الشعرات تغيرت بعده لكثرة تطييب أم سلمة لها إكرامًا. هذا آخر كلام القاضى. والمختار أنه ﷺ صبغ فى وقت وتركه فى معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق. وهذا التأويل كالمتعين فحديث ابن عمر فى الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويل له، والله أعلم.

(مسلم بشرح النووى: ١٥/ ١٣٨، ١٣٩).

صفة لحيته ﷺ

* روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه وصف لحية النبى

ﷺ فقال: «كان كثير شعر اللحية».

* وروى الترمذى عن (على) أنه قال: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية».

* فكان النبى ﷺ صاحب لحية ضخمة حتى إن الذى يرى النبى ﷺ من ظهره كان يعرف كلامه من اضطراب لحيته.. وذلك لضخامتها.

صفة كفيه ﷺ وقدميه وذراعيه وساقيه وصدره

* روى البخارى عن أنس أنه قال فى وصف الرسول ﷺ: «كان ضخم الرأس واليدين والقدمين».

* وعن (علىّ) أنه قال: «كان ضخم الهامة عظيم اللحية» (صحيح الجامع: ٤٨٢٠).

* وروى أحمد أن أبا هريرة قال فى وصف النبى ﷺ: كان شبح الذراعين[1] بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين.

* وعن جابر بن سمُرة، قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العقبين. قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قلت: ما أشكلُ العينين؟ قال: طويل شق العينين. قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل لحم العقب

(١) شبح الذراعين: عريض الذراعين.

(أخرجه مسلم).

* وعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه فى الدعاء حتى يُرى بياض إبطيه يعنى فى الاستسقاء (أخرجه مسلم).

* وعن أبى هريرة أنه قال: «كان أحسن الناس.... ربعة؛ إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدَّين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها؛ ليس له أخمص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة....» (صحيح الجامع: ٤٦٣٣).

صفة قامة النبى ﷺ

وأما عن صفة قامة النبى ﷺ فلقد كان وسطًا بين الطول والقِصر.

* روى البخارى عن ربيعة أنه قال: سمعت أنس بن مالك وهو يصفُ رسول الله ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل، ولا بالقصير.

* وروى أحمد عن يوسف بن مازن الراسبى: أن رجلاً قال لعلى بن أبى طالب: انعت لنا النبى ﷺ قال: كان ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة، إذا جاء مع القوم غمرهم. قال: وكان شثن الكفين والقدمين(١). قال: وكان إذا مشى تقلَّع(٢)

(١) والشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.

(٢) والتقلع: أن يمشى بقوة.

كأنما يمشى فى صبب(١)، كأن العرق فى وجهه اللؤلؤ.

صفة مشيه ﷺ

قال أنس عن صفة مشية النبى ﷺ : «كان إذا مشى كأنه يتوكأ» (صحيح الجامع: ٤٧٨٥).

* وعن أبى عتبة قال: «كان إذا مشى أقلع».
(صحيح الجامع: ٤٧٨٤).

* وعن جابر قال: «كان إذا مشى لم يلتفت».
(صحيح الجامع: ٤٧٨٦).

* وعن جابر قال: «كان إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة» (صحيح الجامع: ٤٧٨٧).

* وعن ابن عباس قال: «كان يمشى مشيًا يُعرف فيه أنه ليس بعاجزٍ ولا كسلان» (صحيح الجامع: ٥٠١٦).

طيب رائحة النبى ﷺ ... ولين كفه ﷺ

* روى مسلم عن أنس أنه قال: ما شممت شيئًا قط: مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ ، ولا مسست شيئًا قط حريرًا ولا ديباجًا ألين مسًا من كف رسول الله ﷺ .

* وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. كأن عرقه اللؤلؤ. إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة

(١) والصبب: الحدور، وتقول: انحدرنا فى صبوب وصبب.

ألين من كف رسول الله ﷺ . ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ . (أخرجه مسلم).

* وعن جابر بن سمرة. قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى. ثم خرج إلى أهله وخرجت معه. فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدى أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خدى. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤنة عطار. (أخرجه مسلم).

و«كان يُعرف بريح الطِّيب - يعنى العطر - إذا أقبل».

(صحيح الجامع: ٤٩٨٨).

عرق النبى ﷺ فى البرد وحين يأتيه الوحى

* عن عائشة قالت: إن كان لينزل على رسول الله ﷺ فى الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقًا. (أخرجه مسلم).

* وعن عبادة بن الصامت قال: كان النبى ﷺ إذا أُنزل عليه الوحى نكس رأسه، ونكس أصحابه رءوسهم، فلما أُتلى عنه، رفع رأسه. (أخرجه مسلم).

كانوا يعطرون العطر بعرق النبى ﷺ

* وعن أنس بن مالك. قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال عندنا، فعرق وجاءت أمى بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبى ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذى

تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب - الطيب: العطر - (أخرجه مسلم).

* وفى رواية أنه قال: ففزع النبى ﷺ فقال: «ما تصنعين؟ يا أم سليم!» فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت» (أخرجه مسلم).

صفة خاتم النبوة

* عن أبى سعيد رضي الله عنه قال: «كان خاتم النبوة فى ظهره بَضعة ناشزة» (صحيح الجامع: ٤٨٠٧).

* وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال: رأيت الخاتم الذى فى ظهر رسول الله ﷺ مثل بيضة الحمام.

* وروى مسلم عن عبد الله بن سَرْجِس قال: رأيت النبى ﷺ وأكلت معه خبزًا ولحمًا - أو قال: ثريدًا - قال: فقلت: يا رسول الله، غَفَرَ اللهُ لك، قال: ولك، فقلت: استغفرَ لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ولكم، ثم تلا هذه الآية ﴿واستغفر لذنبكَ وللمؤمنين والمُؤمنات﴾ قال: ثم دُرْتُ خلفه فنظرتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نُغْض كتفه اليسرى جمعًا، عليه خيلان كأمثال الثآليل.

تنام عيناه ولا ينام قلبه ﷺ

وكان من خصائص النبى ﷺ أنه «كان تنام عيناه ولا ينام

قلبه﴾ (صحيح الجامع: ٤٨٠٦).

و«كان ﷺ إذا نام نفخ» (متفق عليه).

* وكان ﷺ إذا نام يكثر عرقه.. بدليل أنه لما نام عند أم سُليم كانت تأخذ من عرق جبينه وتضعه على عطرها ليتعطر العطر بعرق رسول الله ﷺ.

يقول أنس عن النبى ﷺ «كان كثير العرق» (أخرجه مسلم).

هند بن أبى هالة... ووصف الرسول ﷺ

* وتأملوا معى هذا الوصف الجامع للحبيب ﷺ.

* فعن الحسن بن على رضي الله عنهما أنه قال: سألت خالى: هند بن أبى هالة التميمى، وكان وصَّافًا، عن حلية النبى ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئًا أتعلَّق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مُفخمًا[1]، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المُشذَّب[2]، عظيم الهامة، رَجِلَ الشعر، إن انفرقتْ عقيقته[3] فرق وإلا فلا يُجاوز شعره شحمة

---

(١) قوله: «كان فخمًا مُفخمًا» أى عظيمًا مُعظمًا.

(٢) وقوله: «أقصر من المُشذَّب» المُشذَّب: الطويل البائن.

(٣) وقوله: «إن انفرقت عقيقته فرق». أصل العقيقة: شعر الصبى قبل أن يحلق، فإذا حُلق ونبت ثانية فقد زال عنه اسم العقيقة. وربما سمى الشعر: عقيقة بعد الحلق على الاستعارة، وبذلك جاء هذا الحديث. يريد: أنه كان لا يفرق شعره إلا أن يفترق هو، وكان هذا فى صدر الإسلام، ثم فرق.

أُذنه إذا هو وفَّره، أزهر اللون(١)، واسع الجبين، أزجّ الحواجب(٢)، سوابغ فى غير قرن بينهما عِرق يُدرّهُ الغضب، أقنى العرنين(٣)، له نورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم(٤). كث اللحية، سهل الخدين، كأن عنقه جيد دمية(٥)، فى صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك(٦)، سوىً البطن

(١) قال «القُتيبى»: وقوله: «أزهر اللون» يريد أبيض اللون مُشرقه، ومنه سميت الزهرة لشدة ضوئها. فأما الأبيض غير المشرق فهو الأمهق.

(٢) وقوله: «أزجُّ الحواجب» الزجج: طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما إلى مؤخر العينين.

ثم وصف الحواجب، فقال: «سوابغ فى غير قرن». والقرنُ: أن يطول الحاجبان حتى يلتقى طرفاهما.

وهذا خلاف ما وصفته به أُم معبد؛ لأنها قالت فى وصفه: «أزج أقرن» ولا أراه إلا كما ذكر ابن أبى هالة. وقال الأصمعى: كانت العرب تكره القرن، وتستحب البلج. والبلج: أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيًا.

(٣) أقنى العرنين: طويل الأنف.

(٤) وقوله: «يحسبه من لم يتأمله أشمّ» فالشممُ: ارتفاع القصبة وحسنها، واستواء أعلاها، وإشرافُ الأرنبة قليلاً.

(٥) وقوله: «كأن عنقه جيدُ دُمية فى صفاء الفضة». الجيد: العنق. والدمية: الصورة شبهها فى بياضها بالفضة.

(٦) وقوله: «بادنٌ متماسك». البادن: الضخم. يريد أنه مع بدانته متماسك اللحم.

والصدر[١]، عريضَ الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المُتجرَّد[٢]، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط. عارى الثديين والبطن، مما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزَّندين[٣]، رحبَ الراحة[٤] - وفى رواية: (رحب الجبهة، سبط القصب، شثن الكفين والقدمين)[٥]، سائل الأطراف[٦] خَمْصَان الأخمصين[٧]،

---

(١) وقوله: «سواء البطن والصدر» يريد أن بطنه غير مُستفيض، فهو مُساو لصدره، وصدره عريض فهو مساو لبطنه. ضخم الكراديس: يريد الأعضاء.

(٢) وقوله: «أنور المتجرد» والمتجرد: ما جُرِّد عنه الثوب من بدنه، وهو المجرد أيضًا. وأنور من النور: يريد شدة بياضه.

(٣) وقوله: «طويل الزندين» الزند من الذراع: ما انحسر عنه اللحم وللزند رأسان: الكوع، والكرسوع. فالكرسوع: رأس الزند الذى يلى الخنصر، والكوع: رأس الزند الذى يلى الإبهام.

(٤) وقوله: «رحب الراحة» يريد واسع الراحة، وكانت العرب تحمد ذلك وتمدح به.

(٥) وقوله: «شثن الكفين والقدمين» يريد أنها إلى الغلظ والقصر.

(٦) وقوله: «سائل الأطراف» يريد الأصابع أنها طوال ليست بمنعقدة ولا متغضنة.

(٧) وقوله: «خمصان الأخمصين». الإخمص فى القدم من تحتها وهو ما ارتفع عن الأرض فى وسطها. أراد أن ذلك منه مرتفع، وأنه ليس بأزج، وهو الذى يستوى باطن قدمه حتى يمس جميعه الأرض.

مسيح القدمين[١] ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفيًا ويمشى هونًا[٢]، ذريع المشية[٣] إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب[٤]، وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظرهُ إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء. جُلُّ نظره الملاحظة (يسوقُ أصحابه)[٥].

يبدأ مَن لقى بالسلام.

قلت: صف لى منطقه.

قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، لا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت - يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصل: لا فضول ولا تقصير. دَمِثٌ[٦].

---

(١) وقوله: «مسيح القدمين»: (يعنى) أنه ممسوح ظاهر القدمين، فالماءُ إذا صُبّ عليها مر عليها مرًا سريعًا، لاستوائهما وانملاسهما.

(٢) وقوله: «يخطو تكفيًا ويمشى هونًا» يريد أنه يميد إذا خطا، ويمشى فى رفق غير مختال.

(٣) وقوله: «ذريعُ المشية» يزيد أنه مع هذا الرفق سريع المشية.

(٤) وقوله: «إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب». الصبب: الانحدار.

(٥) وقوله: «يسوق أصحابه» يريد أنه إذا مشى مع أصحابه قدّمهم بين يديه ومشى وراءهم.

(٦) وقوله: «دمثًا» يعنى سهلاً ليّنًا.

ليس بالجافى ولا المهين(١). يُعظِّم النعمة وإن دَقَّت(٢)، لا يُذمُّ منها شيئًا. لا يذمُّ ذواقًا ولا يمدحُهُ(٣) لا يقوم لغضبه إذا تُعُرِّضَ الحق شىء حتى ينتصر له.

لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدّث اتصل بها، يضرب براحته اليُمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح(٤)، وإذا فرح غضَّ طرفه، جُلُّ ضحكه التبسم، ويفترّ عن مثل حَبِّ الغمام(٥).

* قال الحسن: فكتمتُها «الحسين بن على» زمانًا، ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه. فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل

(١) وقوله: «ليس بالجافى ولا المهين» يريد أنه لا يجفو الناس ولا يهينهم. ويروى: «ولا المهين»، فإن كانت الرواية كذلك فإنه أراد ليس بالفظ الغليظ الجافى، ولا الحقير الضعيف.

(٢) وقوله: «ويعظِّم النعمة وإن دقّت» يقول: لا يستصغر شيئًا أوتيه، وإن كان صغيرًا ولا يستحقره.

(٣) وقوله: «لا يذم ذواقًا ولا يمدحه» يريد أنه كان لا يصف الطعام بطيب ولا بفساد وإن كان فيه.

(٤) وقوله: «أعرض وأشاح» يقال: أشاح: إذا جد، ويقال: أشاح إذا عدل بوجهه، وهذا معنى الحرف فى هذا الموضع.

(٥) وقوله: «يفتر» أى يتبسم. وحب الغمام: البردُ. شبه ثغره به.

«أباه» عن مدخله، ومجلسه، ومخرجه، وشكله، فلم يدع منه شيئًا.

قال «الحسين»: سألت «أبى» عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذونٌ له فى ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا لله تعالى، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه. ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة[1]. ولا يدخر عنهم شيئًا.

وكان من سيرته فى جزء الأمة: إيثارُ أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم فى الدين: (فمنهم) ذو الحاجة، (ومنهم) ذو الحاجتين، (ومنهم) ذو الحوائج؛ فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم. ويقول: ليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائب، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه - ثبّت الله قدميه يوم القيامة. لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون عليه رُوَّادًا[2]. ولا يفترقون إلا عن

(١) وقوله: «فيردّ ذلك على العامة بالخاصة» يريد أن العامة كانت لا تصل إليه فى منزله ذلك الوقت، ولكنه كان يُوصِّل إليها حظَّها من ذلك الجزء بالخاصة التى تصل إليه، فيوصلها إلى العامة.

(٢) وقوله: «يدخلون رُوادًا» يريد طالبين ما عنده من النفع فى دينهم ودنياهم.

ذَوَاق[1] - وفى رواية: ولا يتفرقون إلا عن ذوق - ويخرجون أدلة[2]: يعنى فقهاء.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول الله ﷺ يَخْزُن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلّفهم ولا يُنفِّرهم أو يفرقهم ويُكرمُ كريم كلّ قوم ويولّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره ولا خُلقه. يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس، ويُحسِّن الحسن ويُقوِّيه، ويقبِّح القبيح ويُوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملّوا. لكل حال عنده عتاد، لا يقصِّر عن الحق ولا يجوزه. الذين يلونه من الناس خيارُهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مُواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يُوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قَوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك. يعطى كل

(١) وقوله: «ولا يتفرقون إلا عن ذواق» الذواق: أصله: الطعم ههنا، ولكنه ضربه مثلاً لما ينالون عنده من الخير.

(٢) وقوله: «يخرجون من عنده أدلة» يريد بما قد علموه فيدلُّون الناس عليه.

جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه، أن أحدًا أكرم عليه (منه)، من جالسه أو قاومه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده فى الحق سواء. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤبه فيه الحُرم[١]، ولا تُنثى فلتاته[٢]، مُتعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقِّرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويُؤثرون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

قال: قلت: كيف كان سيرته فى جلسائه؟

فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخَّاب، ولا فحَّاش ولا عيّاب، ولا مزَّاح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يويس منه، ولا يحبب فيه. قد ترك نفسه من ثلاث: المراءُ، والإكثارُ، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجى ثوابه. إذا تكلم أطرق

---

(١) وقوله: «لا تُؤبن فيه الحُرمُ» أى لا تقترف فيه.

(٢) وقوله: «لا تُنثى فلتاته» أى لا يتحدث بهفوة أو زلة إن كانت فى مجلسه من بعض القوم. يقال: نثوت الحديث فأنا أنثوه: إذا أذعته. والفلتات: جمع فلتة، وهو ههنا: الزلة والسقطة.

جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير(١)، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث.

من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثُهم عنده حديث أولهم - يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم فى المنطق، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدُوه، ولا يقبل الثناء إلا من مُكاف(٢)، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعهُ بنهيٍ أو قيام.

قال: فسألته كيف كان سكوته؟

قال: كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

فأما تقديره ففى تسويته النظر والاستماع بين الناس.

وأما عن تفكيره ففيما يبقى ويفنى.

وجُمع له ﷺ: الحلم، والصبر، فكان لا يُغضبه شىء ولا يستفزهّ وجُمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسنى - ليُقتدى

(١) وقوله: «إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير» يريد أنهم يسكنون ولا يتحركون ويغضُّون أبصارهم. والطير لا تسقط إلا على ساكن.

(٢) قوله: «لا يقبل الثناء إلا من مُكاف» يريد أنه كان إذا ابتدى بمدح كره ذلك، وكان إذا اصطنع معروفًا فأثنى به عليه مُثن وشكره قبل ثناؤه.

به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ (١).

المشتاقون لصحبة النبى ﷺ فى الجنة

وها هى صور مضيئة لمن اشتاقت قلوبهم لصحبة النبى ﷺ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

فقد جاء فى الحديث أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وإنك لأحب إلىَّ من ولدى وإنى لأكون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وأنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾ (النساء: ٦٩ - ٧٠)

(رواه الطبرانى بإسناد حسن).

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس ﷺ أنه قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد فلقينا رجلاً عند سُدة المسجد فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال رسول الله

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ٤٢٢) والترمذى فى الشمائل (١/ ٢٦).

ﷺ : ما أعددت لها؟ قال: فكأن الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله ! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنى أحب الله ورسوله. قال: فأنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ فإنك مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

أنس بن مالك يرى النبى ﷺ كل ليلة فى المنام

قال المُثنى بن سعيد: سمعتُ أنسًا يقول: ما مِنْ ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى. ثم يبكى (رواه ابن سعد ورجاله ثقات).

الله أكبر!!! تالله إننا لنشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ ولو مرة واحدة. . . وأنس رضي الله عنه يراه كل ليلة فى منامه.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* وعلى الرغم من أن أنس رضي الله عنه كان فى صحبة النبى ﷺ سنوات وسنوات ومع ذلك يبكى فرحًا برؤية النبى ﷺ بعد موته فى المنام!!!

فهل اشتقت لرؤية النبى ﷺ . . . تأمل معى إلى قول النبى ﷺ : «من أشد أمتى لى حبًا ناسٌ يكونون بعدى يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله» (أخرجه مسلم).

* وأنا أقول: بل والله نحن على استعداد لأن نضحى بالدنيا كلها من أجل رؤية النبى ﷺ ولو مرة واحدة فى المنام.

درسٌ جليل

وها هو أحد التابعين سأل شيخه فى يوم من الأيام وقال له: أرجو أن تعلمنى كيف أرى النبى ﷺ فى المنام؟ فقال له الشيخ: إذا أردت أن تتعلم ذلك فتناول معى وجبة العشاء فى البيت وسوف أعلمك.

فلما جاءه التلميذ وجد الشيخ قد أعدَّ له طعام العشاء وأكثر فيه من الملح، وأخذ التلميذ يأكل الطعام، ولم يستطع أن يعترض على كثرة الملح الذى يملأ الطعام... وبعدما انتهى التلميذ من الطعام طلب ماءً فأخبره الشيخ أنه لا يوجد ماء فى البيت، ثم أمره أن ينام حتى إذا كان الثلث الأخير من الليل فسوف يأتيه بالماء ليشرب ويتوضأ.

فنام التلميذ فلما كان الثلث الأخير أيقظه شيخه وسأله: ماذا رأيت فى منامك؟

قال التلميذ؟ رأيت أنهارًا تجرى وبحارًا تتدفق وأمطارًا تنزل!!!

فقال له الشيخ: صدقت نيتك فصدقت رؤيتك، ولو

صدقت محبتك للنبى ﷺ لرأيته فى المنام.

النبى ﷺ يشتاق إليكم

قال ﷺ: «وددت أنى لقيت إخوانى الذين آمنوا ولم يرونى» (صحيح الجامع: ٧١٠٨).

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى» (صحيح الجامع: ٣٩٢٣).

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة، وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات» (صحيح الجامع: ٣٩٢٤).

فيا ليتنا نعلم قدر النبى ﷺ ونشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا ونحبه كما يحبنا... أما علمتم أن النبى ﷺ خبأ دعوته شفاعة لأمته.

فقد قال ﷺ: «لكلِّ نبى دعوةٌ مُستجابة، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله منْ مات من أمتى لا يُشرك بالله شيئًا»

(أخرجه مسلم)

* بل إن النبى ﷺ ينتظرنا على الحوض يوم القيامة ليرى الذين اتبعوه وعاشوا على سنته وشرعه ومحبته ليسقيهم من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

* بل وحتى عند دخول الجنة يعلم النبى ﷺ أن الله (عز

وجل) جعل له من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإذا بالحبيب ﷺ يستزيد ربنا (عز وجل) ويطلب منه المزيد ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال ﷺ: «أعطيت سبعين ألفًا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربى (عز وجل) فزادنى مع كل واحد سبعين ألفًا» (صحيح الجامع: ١٠٥٧).

وفى رواية قال ﷺ: «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى».

(صحيح الجامع: ١١١).

* فالنبى ﷺ يفعل كل ذلك من أجلنا.. فكيف لا تشتاق قلوبنا وأعيننا لرؤيته وصُحبته فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* * *

وأخـيرًا

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

يا ليتنا نسأل أنفسنا: هل نحن نحب النبى ﷺ بصدق أم أننا ندعى المحبة له ﷺ . . . فإن كنا نحبه فلماذا لا نتأسى به ونتبعه فى كل صغيرة وكبيرة، فهو الذى لم يترك خيرًا إلا وقد دلَّنا عليه، ولم يترك شرًا إلا وحذرنا منه فهو أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا، ولذا قال (جل وعلا): ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ (الأحزاب: ٦).

* فلنقرأ تلك الرسالة.. ولنُخلص محبتنا للنبى ﷺ عسى الله أن يرزقنا رؤيته ﷺ فى المنام، ويرزقنا صُحبته فى الجنان.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

فهرس الكتاب